المـــــــــادة الدراســـــــــية: البلاغـــــــــة العربيـــــــــة

المستوى الدراسي الثاني عنوان المحاضرة : الاستعارة

أ.د. محمد عبيد صالح

الاستعارة:

تعـدّ الاسـتعارة قسـماً مهمـاً مـن أقسـام البلاغـة العربيـة التـي شـغلت الدارسـين للغـات الإنسـانية، وأصـبحت موضـع اهتمـام للسـانيين واللغـويين المعاصـرين وفلاسفة اللغة وعلماء النفس والانثربولوجيين وغيرهم.

ويـأتي هـذا الاهتمـام مـن منطلـق أن الاسـتعارة هـي قمـة الفـن البيـاني، وجـوهر الصـورة الرائعـة، والوسـيلة الأهـم التـي يرتقـي بهـا الشـعراء والمبـدعون إلـى قمـم الإبـداع والـذوق والجمـال... فيهـا تـتكلم الجمـادات، وتتـنفس الأحجـار، وتغنـي الطبيعة وترقص وكأنها من عالم الأرواح.

ولا بـد مـن الوقـوف علـى دلالـة هـذا المصـطلح مـن حيـث اللغـة: **فالاســتعارة مـأخوذة مـن العاريـة، يقـول الأزهـريّ: "وأمـا العاريـة والإعـارة والاسـتعارة، فـإن قــول العــرب فيهــا: هــم يتعــاورون العــواريّ ويتعورونهــا بــالواو... وقــال:**

والعاريــة منســوبةٌ إلــى العــارة، وهــو اســمٌ مــن الإعــارة، تقــول: أعرتــه الشــيء أعيره إعارة وعارةً".

أمـا اصـطلاحا فـان الاسـتعارة فـي أبسـط أشـكالها هـي ((**اســتعمال اللفــظ فــي غيــر مــا وضــع لــه لعلاقــة المشــابهة بــين المعنــى المنقــول عنــه والمعنــى المســتعمل فيــه ، مــع قرينــة صــادقة عــن إرادة المعنــى الأصــلي**)) .وقـد عرفهـا السـكاكي بقولـه " **هــي أن تــذكر أحــد طرفــي التشــبيه وتريــد بــه الطــرف الآخــر مــدّعياً دخــول المشــبه فــي جــنس المشــبه بــه، دالاً علــى ذلــك بإثباتــك للمشــبّه ما يخصّ المشبه به**".

إذن فالاســتعارة تتــيح مجــالاً أوســع أمــام المتلقــي فــي المشــاركة الذهنيــة والوجدانيــة، وذلــك بــأنّ يصــبح المتلقــي عنصــراً فــي عمليــة الإبــداع، مــن حيــث دوره فــي استيضــاح الطــرف المحــذوف، ســواء أكــان هــذا المحــذوف المشــبه فــي حالــة الاســتعارة التصــريحية، أو المشــبه بــه فــي حالــة الاســتعارة المكنيــة، ومــن ثم استكشاف عناصر الجمال فيه.

وثمــة اخــتلاف بــين الاســتعارة والتشــبيه، فهنــاك مقاربــة بــين الشــيئين فــي التشــبيه، فــي حــين أنَّ الاســتعارة هــي عمليــة نقــل اللفــظ عــن موضــع اســتعماله فــي أصــل اللغــة إلــى غيــره لغــرض؛ وذلــك الغــرض إمــا أنَّ يكــون شــرح المعنــى وفضــل الإبانــة عنــه أو تأكيــده أو المبالغــة فيــه أو الإشــارة إليــه بالقليــل مــن اللفــظ أو

تحسين العرض الذي يبرز فيه، **وبمعنىٍ أخر: هو تشبيه غاب فيه أحد ركنيّ التشبيه، الرئيسيين (المشبه- المشبه به).**

والشيء الأهم في الاستعارة إنّه لا يمكن دراستها بشكل واضح وصريح بمعزل عن السياق لمعرفة ما إذا كانت هذه الصورة مبتكرة أم لا، فالنسق الاستعاري ـ كما هو معروف ـ ينهض على خرق المألوف في العلاقات اللغوية، فتعمل على استثارة القارئ وتحفيز ذهنه ليتجاوز المعنى السطحي إلى المعنى الإيحائي العميق، الذي لا يمكن للمتلقي الوصول إليه إلّا عبر القراءة المنتجة.

إنَّ وظيفة الاستعارة هي تفاعلية نفسية لها ارتباط قوي بحالة المبدع النفسية، وطبيعة التجربة الشعرية بحد ذاتها لها أثر كبير في المتلقي، وكلتا الوظيفتين (التفاعلية) و(النفسية) عملت جنباً إلى جنب في بروز الطابع الأدبي، الذي يبين حقائقه ويستجلي غموضه السياق الشعري.

فوائد الاستعارة :

الاستعارة تحلّقُ بك في عالم الخيال، و تعرض عليك أشكالاً من الصور البيانية الرائعة.

و حتى تدركَ حقيقة ذلك القول: فإنّ عليك أن تتخيّلَ : أنّ رجلا قال: (رأيتُ طفلةً تحملها أُمُّها) فإنك سترى أنّ مثل هذا القول لم يؤثّرْ فيك، و لم يحرك مشاعرك!

و لكنْ تخيل لو أنّ الشخصَ عينه كان قد قال: (رأيتُ زهرةً تحملها أمُّها) فإنك ستحلّق في عالم الخيال و تسبح في بحر الألفاظ ، وتنتقل سريعًا من المعنى الحقيقي للفظ المستعار وهو الزهر، إلى المعنى المجازيّ الذي صار عليه ذلك اللفظُ وهو طفلةٌ صغيرة تشبه الزهرة في حلاوتها و جمالها ورونقها.

أو أن يقول احدهم (رأيت فتاة جميلة في السوق) فمثل هذا القول لا يثير المتلقي كما لو (قلت رأيت شمسا في السوق).فلك ان تتخيل جمال الانتقال من الحقيقة الى المجاز عبر استعارة لفظة الشمس للفتاة.

أركان للإستعارة في تعريفاتها المختلفة أربعة اركان:

١ . المستعار منه، وهو المشبّه به.

٢ . المستعار له، وهو المشبه، ويقال لهذين: (طرفا الإستعارة) .

٣ . المستعار، وهو اللفظ المنقول والمستعمل فيما لم يعرف به من معنى.

٤. القرينة اللفظية او المعنوية التي تمنع ان يكون المقصود بالاستعارة معناها الذي ورد به المستعار منه.

ففي (رأيت أسداً يرمي) المستعار منه: الحيوان المفترس، والمستعار له: زيد، والمستعار: لفظ أسد. والقرينة : يرمي لاعتبار ان الاسد لايرمي.

وفي قول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم):(خيرُ مَعايشِ النَّاسِ لَهُم ، رجلٌ مُمسِكٌ بعَنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللَّهِ ، ويَطيرُ على مَتنِهِ ، كلَّما سمعَ هيعةً أو فزعةً ، طارَ عليهِ إليها) فلفظ طار مستعار ، والمستعار منه الطيران، والمستعار له الاسراع، بقرينة ان الرجل لا يطير.

أقسام الاستعارة:

تقسم الاستعارة بحسب اعتبارات كثيرة، ومن أهمها إعتبار ما يذكر من الطرفين:

١. الاستعارة التصريحية: لغة من الفعل صرّح بكذا اذا اظهر. اصطلاحا: **وهي ما صُرَّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه بهِ دون لفظ المشبه**، نحو قول المتنبي يَصِفُ دخول رسولِ الرّوم على سيف الدولة:

وَأَقْبَلَ يَمشِي في البِساطِ فَما درَى إلى البَحرِ يَسعَى أَمْ إلى البَدْرِ يرْتَقي

شُبِّهَ سيفُ الدولة بالبحر بجامع العطاءِ ثم استُعيرَ اللفظُ الدال على المشبَّه به وهو البحر للمشبَّه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحيةِ، والقرينةُ "فأَقبل يمشي في البساط". فقد صرح الشاعر بالمشبه به (البحر) و (البدر) ولم يذكر لفظ الممدوح(المشبه)

٢. الاستعارة المكنيّة: لغة اسم مفعول من كنى بمعنى اخفى وستر . اما اصطلاحا: فهي ما لا يذكر فيها المشبه به، دون المشبه، مع الإبقاء على شيءٍ من لوازم المشبه به، **بمعنى اخر وهي ما حُذِفَ فيها المشَبَّهُ بهِ ورُمِزَ لهُ بشيء مِنْ لوازمه** وذكر المشبه نحو قوله تعالى :**{وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ**

يَرْهَبُونَ} فقد شبه الغضب بإنسان، وحذف المشبه به، وكنّي عنه بشيءٍ من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنيّة. **وقال تعالى على لسان زكريا عليه السلام: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} شُبِّهَ الرأسُ بالوقودِ ثم حذِف المشبَّه به، ورُمزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو "اشتعل" على سبيل الاستعارة المكنيةِ، والقرينةُ إثبات الاشتعالِ للرأس.**

٣. الاستعارة التمثيليّة: وهي **تركيبٌ استُعْمِلَ في غير ما وُضِعَ له لِعلاَقَةِ المشابَهةِ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إرادةِ مَعْنَاهُ الأَصْلِيِّ**، وتغلب في الأمثال العربية شعراً ونثراً، فإنّ شيوع الاستعارة التمثيلية يحولها إلى مثل، كقولنا لمن ينتقد شخصاً آخر في أمرٍ ما، والأمر نفسه مصابٌ به الناقد: (من كان بيته من زجاج، فلا يقذف الناس بالحجارة)ـ فقد شبهنا الة هذا الشخص بحالة من يقذف بيوت الناس الزجاجية- وبيته من الزجاج- بالحجارة. ومن الامثلة الاخرى **أَنتَ ترقُمُ على الماءِ (إذا قلتَه لمنْ يلِحُّ في شأْنٍ لا يمكنُ الحصولُ منه على غايةٍ)**. شُبِّهت حالُ من يُلحُّ في الحصول على أَمر مستحيلٍ، بحال منْ يرقُمُ على الماءِ، بجامعِ أَن كلاًّ منهما يعْملُ عملاً غيْر مُثْمِرٍ، ثم استعير التركيب الدالُّ على المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينةُ حاليَّةٌ.

ومن الاستعارات التمثيلية الجارية في الامثال قولهم (**الصيف ضيّعت اللبن)** يضرب لمن فرّط في تحصيل امر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه فيه.

المصادر والمراجع:

- **البلاغة الواضحة تأليف : علي الجارم و مصطفى أمين، جمعه ورتبه وعلق عليه ونسقه : علي بن نايف الشحود.**
- **البلاغة والتطبيق تأليف: الدكتور احمد مطلوب ،الدكتور حسن البصير، مطبوعات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الطبعة ٢ ، ١٩٩٩م.**
- **الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، تأليف د. محمد عبيد صالح، الناشر دار غيداء/الأردن،ط١، ٢٠١٣.**